

الفصل الثاني عشر

[المحاولة مرة أخرى]

لم أكد أجلس علي سريرى بتحفز وترقب شديدين بانتظار إشارة أمجد، حتى سمعت طرقات مألوفة على الباب.. لم أحتج لمعرفة هوية صاحبها وأنا أنهض لأفتح الباب بصمت.. وكما توقعت رأيت بسمه تقف قرب الباب وانتفاضة واضحة تبدو عليها.. فجذبتها بصمت لتدخل وأجلستها على السرير.. وجلست قربها متسائلة بلطف "أنت خائفة؟"

اتسعت عينا بسمه لتؤكد المعنى الذي نطقته شفتاها المرتجفتان "بل مرعوبة.. بودي نسيان كل شيء والبقاء.. لكنني أخشى من البقاء وحيدة ورحيلكم عني.. لكنني خائفة، حقاً خائفة" كانت انتفاضتها تزداد مع كل حرف تنطقه، فلم أملك إلا أن أضمها وشفقة تغمرني على حالها.. بدت كطائر مبتل ريشه يرفف في وجه الريح.. فقلت لها بصوت حاولت جعله مطمئناً "كلنا سنكون معك وسنحميك بكل ما نستطيع.. إن لم تثقي بقدرتي على ذلك فعلى الأقل تثقي بأمجد وأدهم.."

زفرت بسمه محاولة إخراج توترها وإيقاف النفضة التي استعمرتها، ثم رفعت عيناها المحملتان بدموع جاهدت لحبسهما "هل أستطيع البقاء معك حتى يحين الوقت؟ أخشى البقاء وحدي والعودة للهواجس التي تحتلني.."

فقلت لها مبتسمة "لا بأس.. لا أرى ضيراً في ذلك.."

بعد عدة ساعات، قضيتها أجتاذب الحديث مع بسمه محاولة شغلها عن مخاوفها، تسالت لأنوفنا الرائحة المميزة للحريق.. فنظرت لبسمه التي اشتعل توترها وازدادت نفضة جسدها.. فشددت يدي على يدها وأنا أقول بتصميم "هي ساعات قليلة ونكون أحراراً.. لا تقلقي ولا تخافي.."

هزت رأسها وهي تبلع ريقها بتوتر.. فبقيت دقيقتان أنتظر ثم هببت واقفة وخرجت من مسكني وهي تتبعني.. لم أنس أن أحمل الحقيبة الصغيرة التي صنعتها بنفسى بشكل ارتجالي مستخدمة أحد أرديتي والتي حوت بعض العدة.. ولدى بسمه حقيبة مماثلة.. وحالما خرجت من مسكني رأيت أدهم يصرخ ويطرق أبواب بعض المساكن القريبة من الحريق.. بينما اندلع حريق يلتهم معظم مسكن أمجد الذي لم يكن بعيداً من مسكني..

أسرعت أخبئي الحقيبة في موقع بعيد عن الحريق، ثم انطلقت بدوري أوقظ أصحاب المساكن القريبة لكي لا نتسبب بموت أحدهم اختناقاً أو حرقاً أثناء نومهم، ولنحدث الجلبة الكافية لتنفيذ خطتنا كما يجب.. وخلال دقيقة، كان عدد كبير من السجناء قد استيقظ ووقف ينظر للحريق بقلة حيلة.. ونظرت

لأجهزة المراقبة القريبة فرأيتها كلها قد استدارت لتراقب الحريق وما يجري حوله.. لذلك، وكما تقتضي الخطة، تراجعت للخلف دون أن أحاول لفت الانتباه واتجهت بين المساكن حيث رأيت أمجد يختفي قبل قليل..

قبل أن أصل لموقع أمجد، سمعت صيحة صارمة توقفني، فاستدردت بتوتر لأرى أحد الحراس يتقدم مني متحفزاً مشهراً سلاحه.. ظللني قلق شديد وأنا أراه يخصني بالنداء، وفكرت جدياً بالهرب قبل أن يصل، لكنني خشيت العواقب.. وعندما وصل إليّ وجدته يقبض ذراعي بيد من حديد وهو يقول "إلى أين أنت ذاهبة؟"

قلت بتوتر "هناك بعض السجناء في المساكن لم يستيقظوا.. علي تحذيرهم.."

فقال بجفاء "دعهم وشأنهم.. أنت مطلوبة لدى القائد.."

اشتعل قلقي وأنا أقول "لماذا؟ هل ستتهموني بتدبير هذا الحريق أيضاً؟ توقف.."

كان يجرنني خلفه غير عابئ بصياحي، ورأيت مركبة تابعة للإدارة تقف وسط الساحة ويبدو منها قائد الحرس وهو يلقي بأوامره لحراسه.. عندها قلت بحدة أكبر "أطلقني.. لم أنت مصر على جري بهذه الطريقة؟"

وجدنا بسمة في تلك اللحظة تندفع تجاهنا وهي تقول للحارس بتوتر "أيها الحارس.. أسرع.. هناك بضع سجناء يحاولون الهرب من هذا الاتجاه.."

نظر لها الحارس مقطباً محاولاً قراءة ملامحها لمعرفة إن كانت تكذب، لكن ملامحها المتوترة المنفعلة أيدت حديثها بشكل سرّع تصديقه لها.. فأمسك جهاز الاتصال في يده ليحدث رفاهه من الحراس، لكن بسمة جذبت يده بعصبية وهي تهتف "لا وقت لهذا.. سيفلحون بالهرب قبل أن تنهي اتصالك هذا.."

قال الحارس بحدة وهو يدفعها "لا شأن لك.. أخبريني أين هم ومن هم.. ولا تتدخل في عملي.."

نظرت لي بسمة بتوتر شديد وقد فشلت في إبعاده عني، لكنه لم يكذب فيه الجملة حتى تلقى ضربة قوية على رأسه خرّ لها مغشياً.. وظهر أدهم من خلفه مغمغماً "لا مفر من العنف أبداً.."

جذب انتباهي صياح وسط الساحة، فرأيت قائد الحرس يشير لنا ويصرخ على رجاله الذين قدموا من عدة جهات من المساكن شاهري أسلحتهم.. فهتف بنا أدهم "لنهرب.."

انطلقنا حيث كان مقررأ لنا أن نلتقي في إحدى جهات المساكن الخارجية، فعبرنا المساكن بأسرع ما نستطيع وأدهم يتأخر عنا قليلاً ليتأكد من هروبنا.. وهناك رأينا أمجد ينتظرنا وقد اتسعت عيناه مع مرآنا وهتف "ما الذي فعلتموه؟"

صاح أدهم "سبق السيف العزل يا صاح.. اهرب الآن.."

لم يكد ينه جملته حتى ظهر الحراس من بين المساكن وهم يلحقون بنا.. فركض أمجد معنا وهو يهتف بحلق "تبا لكل هذا.."

نظرة مني للحراس رأيت بها على وجوههم غضب وتوتر مشهود له.. لأبد أنهم حاولوا استخدام الأساور لإعاقة هربنا لكن النتيجة كانت مخيبة لآمالهم.. فمع الطبقة الغليظة التي كانت شبه قاسية ومحيطه بأساورنا بشكل تام، أشك أن يصل للأساور أي ذبذبات من الإدارة..

انطلقنا نركض بأقصى سرعتنا متجاوزين المساكن والأعمدة المحيطة بها والتي كانت تحمل أجهزة المراقبة التي تتبع خطواتنا بشكل حثيث.. لكن ما المهم في هذا الآن وقد انكشفت خطتنا؟.. وقبل أن نتوغل في الغابة، سمعنا صوت طلقة شقت الهواء قربي لتستقر في جذع شجرة قريب.. قفرت مبتعدة عن موقع الطلقة بفزع فيما صاح أمجد "احتموا بالأشجار.. إنهم يحاولون الإمساك بنا بأي طريقة"

تمالكت فزعي من المفاجأة وأنا أهرع للاختباء في الغابة وإن لم أتوقف عن الركض خلف أمجد.. ولم تكد بسمة تقترب من أقرب الأشجار حتى شعرت بطلقة أخرى تمر قربها.. سمعت الفتاة تصرخ بفزع قبل أن تتعثر بجذور شجرة ممتدة أرضاً فتسقط على وجهها.. توقفت فوراً عن الركض وأنا أهم بالعودة إليها لأعينها وعيني تراقب الحراس الذين تجاوز عددهم العشرة وهم يتقدمون منا بشكل حثيث.. لكن أمجد جذبني من ذراعي وهو يهتف بي "اختبئي في الغابة.."

هتفت "لكن.. بسمة.."

دفعني بقوة وهو يصيح "أدهم سيتكفل بها.. انطلقى.."

بالفعل رأيت أدهم يحملها لتقف بينما تعالي صوت عدة طلقات رأيت إحداها تضرب أوراق الشجر قربي بعد أن مرت قريباً من وجهي.. وبدفعة أخرى من أمجد عدت أركض بين الأشجار بأسرع ما أستطيع.. سمعت خطوات أمجد الحثيثة خلفي وإن لم أجرو على الالتفات والنظر محاولة الاختباء بين الأشجار التي ازدادت كثافتها مما سيشكل لنا غطاء جيداً عن الطلقات التي لم تتوقف..

مع صدمة اكتشافهم أمرنا بدون أن يكون ذلك ناتج عن خطأ اقترفناه، فإن خططنا قد تبلبلت ونحن نتفرق في الغابة.. لم أعرف ما حال بسمة وأدهم وإن اطمأننت لوجود أدهم معها، فهو قادر على حمايتها.. لكن القلق استعمرني وخطواتي تحملني بأسرع ما أستطيع عبر الغابة محاولة ألا أتعثر وأسقط لنلا أمكن الحراس من الاقتراب مني.. كنت أسمع تصايحهم وصوت طلقاتهم.. كما أنهم يحملون مناظير للرؤية الليلية، لذلك هذا الظلام لن يكون مشكلة بالنسبة لهم..

سمعت صيحة مذعورة أطلقتها بسمة على مبعدة منا توقف لها أمجد والقلق يغزو ملامحه، فسألته وأنا أقف بدوري "أتظن مكروهاً أصابها؟"

قال أمجد "لا أعلم.. بودي العودة إليهما لكن أخشى أن نسقط في يد الحراس.."
فقلت بتوتر لا مثيل له "هل ستتركهم يقعون في قبضة الحراس؟ لا يمكن أن أترك بسمة بين أيديهم..
إنها...."

فوجئت بدفعة قوية من يد أمجد أسقطتني جانباً فيما مر قرب أذني أزيز قوي مع صوت الطلقة التي
حطمت سكون الغابة.. اعتدلت واقفة فور سقوطي وأنا أرى حارساً يتقدم منا من بين الأشجار بينما
غمغم أمجد "استغلي انشغاله واهربي.."

صاح الحارس بلغة ناو "لا تتحركا أو تتفوها بكلمة.. سأطلق النار على الفور..
أتيت بحركة مفاجئة جعلت الحارس يلتفت إليّ متحفزاً، فاستغل أمجد انشغاله بي ليرميه بمصباح
ضوئي بقوة.. استدار الحارس من فوره تجاه أمجد مطلقاً رصاصة أصابت المصباح بدقة، فيم
استغل أمجد الفرصة ليركل السلاح من يد الحارس وهو يصيح بي "اهربي يا حمراء..
لكني لم أفعل وأنا أرى أمجد يلتحم بالحارس في عراك محدود.. فانحنيت وحملت فرعاً خشبياً وجدته
ساقطاً على الأرض ونظرت للرجلين محاولة إيجاد فرصة لضرب الحارس.. في النهاية، أسقط
الحارس أمجد أرضاً واندفع لاستعادة سلاحه.. فاندفعت إليه ورميت الفرع بكل قوتي في وجهه
لتصيبه ضربة قوية ألقته للوراء، وأسرعت للسلاح فحملته وألقيته تجاه أمجد..
استعاد الحارس توازنه ووقف فيما حمل أمجد السلاح مصوباً إليه وقال "ابتعد وعد لرفاك إن أردت
النجاة.."

ظل الحارس ينظر له بغضب، لكن لم تفتني يده التي تعبت بجهاز الاتصال، فتقدمت بسرعة من خلفه
وضربته بقوة على رأسه أسقطته أرضاً فاقد الوعي.. نظر لي أمجد وقد اندهش من عنفي، فغمغمت
"كان ينوي إرشاد رفاقه لموقعنا.."

لكن لم أكد أنهي قلبي حتى ظهر أمامنا حارسان مشهري سلاحيهما وأحدهما يجري اتصالاً
بالآخرين ليعلمهم عن موقعنا.. بينما الآخر يصيح في وجوهنا بصرامة..
تبادلت النظرات مع أمجد، ولم أجد فيهما ما يريحني.. هل ينوي شغلهم ليسمح لي بالفرار؟ أتمنى أن
أكون مخطئة وأن أكون حقاً لا أجد قراءة العيون.. ورغم أن أمجد كان يشهر سلاحه في وجهيهما،
إلا أنه لم يجعلهما يترددان في التقدم وهما متأكدان أنه سيخشي عواقب إطلاقه النار..
بدا التوتر شديداً في وجه أمجد، بينما تقدم أحد الحراس تجاهي والآخر يراقب أمجد بتحفز.. رأيت
الحارس الذي يقترب مني يستخرج قيداً من جيبه، بينما تراجعت أنا خطوتين ملوحة بالفرع في يدي
بتحفز.. فقال الحارس "لا تقومي بأي تصرف أحمق"
قلت له "دعني أكتشف ذلك بنفسي"

ابتسم الحارس بسخرية، بينما هتف أمجد "لا تفعلني يا حمراء.." رغم خوفي من السلاح الموجه لرأسي، لكنني كنت متأكدة أن الحراس لا يملكون الإذن بقتلنا.. لذلك لم يكد الحارس يقترب مني حتى طوحت الفرع بقوة، لا نحو رأسه الذي أبعده تلقائياً، بل نحو سلاحه الممتد نحوي.. ورغم أن الحارس تراجع مع ضربتي لكن الضربة كانت سريعة كفاية لتصيب سلاحه قبل أن يبتعد، وإن لم أستطع تجريده منه، وإنما أبعدت الفوهة المصوبة لوجهي.. وقبل أن يعيد الحارس الفوهة نحوي، كنت قد رميت الفرع في يدي بكل قوتي نحو الحارس الآخر الذي يواجه أمجد.. وقد كانت الضربة كافية لتشتت انتباهه فاستغل أمجد الفرصة ليطوح سلاحه في وجه الحارس بضربة قوية تلتها ضربة أخرى أفقدته الوعي.. أما الحارس الذي كان قربي فقد هتف بحنق "تبا.. حذرتك من الإتيان بأي حركة" وأتبع قوله بضربة وجهها لرأسي أسقطتني أرضاً ودوار شديد يكتنفني.. وكاد يتبعها بأخرى لولا أن عاجله أمجد بضربة من الخلف جعلته يلقي سلاحه ثم أخرى أفقدته الوعي.. تقدم مني وساعدني على النهوض قائلاً بلوم "لماذا لم تسرعي بالهرب عندما طلبت منك ذلك؟" غمغمت وأنا أحاول استعادة توازني "لم أستطع التخلي عنك عندما....." من بين الدوار ومضت ومضة مؤلمة وأنا أشعر بما حولي يتذبذب..

"أرجوك.. لا تتخلّ عني.."

نفضت رأسي لاستعادة انتباهي فليس الوقت ملائماً للاستغراق في الذكريات، وقد يهاجمنا الحراس في أي لحظة الآن.. شعرت بأمجد يمسك يدي ويجذبني خلفه قائلاً "انسرع..". لم أعترض على ذلك وأنا أستعيد صفاء ذهني شيئاً فشيئاً.. ورغم قلقي على حال أدهم وبسمة، إلا أنني انشغلت بحالي أنا وأمجد.. وتمنيت أشد ما أتمنى أن تمضي هذه الليلة على خير..

ما أخبرتني به بسمه فيما بعد، أنها مع مرور تلك الرصاصة قريباً منها أطلقت صرخة زعر قبل أن تتعثر وتهوي على وجهها بشكل مؤلم.. تظافر زعرها وتعبها لجعلها ترتبك وهي تحاول النهوض، عندما شعرت بيدين ضخمتين ترفعانها لتقف ومزيد من الرصاصات تدوي حولهما.. ثم أمسك أدهم ذراعها وجذبها وهو يهتف بها "اركضي ولا تتوقفي مهما حدث.."

ركضت بسمه بخطوات لا تكاد تلاحقه لسرعته وهو يجذبها خلفه عبر أشجار الغابة، وبعض الرصاصات تأن قريباً منها بشكل يزيد زعرها.. ألقت نظرة سريعة حولها فلاحظت اختفائي وأمجد مما أراحها وأقلقها في الآن ذاته.. أراحها لهربنا من جحيم الرصاصات المتناثرة، وأقلقها من تفرقها عنا..

كادت تتعثر عدة مرات لعدم توافق خطواتها القصيرة بخطوات أدهم الواسعة، حتى شعرت أنه يكاد يسحبها سحباً على الأرض.. ثم فوجئت بتوقف أدهم المفاجيء حتى كادت تصطدم به، فتوقفت بدورها مخطوفة الأنفاس وهو يترك ذراعها قائلاً "ابتعدنا عن مرمى رصاصات الحراس.. الآن يجب أن نكون أكثر حرصاً لئلا نقابل أحدهم في طريقنا"

سألته بسمه من بين أنفاسها المتقطعة "أين البقية؟ أين حمراء؟"

قال باقتضاب "ابتعدا.. لكننا سنلحق بهم"

قالت بسمه بصوت مرتجف "كيف؟ ماذا لو لم نجدهم؟"

قال أدهم مقطباً "لا تقلقي.. فقط اتبعيني"

عادا للهرب بين الأشجار وهي تشعر أنهم لا يسلكون طريقاً محدداً.. ولم يكادا يبتعدا حتى فوجئت بأحد الحراس يظهر فجأة من بين الأشجار.. صرخت بسمه بذعر وهي ترى السلاح موجهاً لرأسها، لكن ردة فعل أدهم كانت سريعة حقاً.. إذ التقط حجراً من الأرض ورماه بسرعة بقوته المذهلة تجاه الحارس.. فأصابه الحجر بدقة في رأسه لشسقطه أرضاً متألماً، فانقض أدهم عليه وانتزع سلاحه من يده، وعاجله بالسلاح في فكه قبل أن يهتف ببسمه "لنبتعد.."

كان حصوله على السلاح مطمئناً أكثر من بقاءهما دون ما يدافعان به عن نفسيهما.. خاصة مع ذلك الهدير الذي تعالى فوق رأسيهما في الليل الهاديء ونور ساطع شق الظلام ناشراً ضوءه الذي تغلغل في الغابة وبين أشجارها.. رفعاً رأسيهما بتوجس ليريا مروحية تحلق في الأعلى قريبة من الأشجار ومروحياتها تدف الهواء بقوة ليهز أعالي الأشجار القريبة..

همست بسمه بارتجافة "إنها مروحية.. منذ متى كانوا يملكون واحدة هنا؟"

علق أدهم وهو يعاود الركض "لا بد أنهم يستخدمونها للتنقل بين المناجم.. فهي أسرع من المركبات بكل تأكيد"

كان يتفادى المناطق المكشوفة في ركضه ويستغل ظلال الأشجار الكثيفة للاختباء منها.. أما بسمة فقد كانت تتبع خطواته بينما يتزايد زعرها أكثر.. لا يمكن لوحش ضخم كهذا أن يغفل عن موقعهما.. لابد سيراهما.. ولابد عندها أن يقتنصهما بكل سهولة..

قالت بسمة لاهثة "إلى أين نحن ذاهبان؟ هل تعرف الطريق الذي علينا سلوكه؟" أجابها وهو يتوقف لينظر حوله "أعرف بالطبع.. المهم ألا تبتعدي عني أو تضيعي في الغابة" بعد فترة وجيزة ابتعد الضوء والهدير في بحثه الدؤوب.. فتوقف أدهم كما يفعل بين فينة وأخرى، ونظر حوله ليستوثق من طريقه قائلاً "لم تعثر علينا.. الآن علينا أن نتجه للمنطقة المتفق عليها.."

نظر لوجه بسمة الشاحب المنهك ولهاثها المتقطع وهي تكاد تصلب نفسها بصعوبة، فسألها "هل تريدان التوقف قليلاً للراحة؟"

قالت بسرعة وتوتر "لا.. لنكمل حتى نصل لموقع آمن.. لا يمكن أن أنال أي راحة في هذا المكان والحراس على إثرنا"

ابتسم أدهم معلقاً "أخبريني إن شعرت بأي تعب.. ولا تخشي شيئاً وأنت معي.."

توترت بسمة وهي تشعر بشيء من عدم الراحة.. وسط تلك الأحداث فإنها نسيت خوفها من أدهم وزعرها الدائم من البقاء وحيدة مع أي رجل.. لكن الآن، فقد عادت لها تلك الأحاسيس مع الابتسامة التي أشعلت في روحها خوفاً مبهماً.. خوف جربته سابقاً لكنها نسيته ونسيت سببه..

لم يبد على أدهم أنه أدرك ما يدور في عقلها وهو يستمر في ركضه وإن خفف من سرعته.. فحاولت هي اللحاق به وعدم التعثر في هذا الظلام، ثم توقفت وهي تلهث واستخرجت من حقيبتها مصباحاً يدوياً.. فتوقف أدهم بدوره وسألها "ما الأمر؟ هل تعبت؟"

قالت وهي تشير للمصباح "لا.. لكنني أخشى التعثر في هذا الظلام.. سأستخدم المصباح فهذا أحسن لي"

قال أدهم مقطباً "إياك.. أنت بهذه الطريقة تدلين الحراس والمروحية على موقعنا بوضوح.."

غمغت بسمة "لكن....."

توقفت عن الحديث وعيناها تتسعان وهي تنظر خلف ظهره، فاستدار أدهم بسرعة ليرى خمسة من الحراس يخرجون من بين الأشجار ويقتربون منه.. كانت الأسلحة مشهرة في وجهيهما، ولم يكن لسلح أدهم أي فائدة في مواجهتهم.. ألقى نظرة سريعة للموقف الذي هما فيه، ثم قال لبسمة بالعربية "أضيئي المصباح"

وقفت بسمة تستمع له بدون فهم، بينما قال أحد الحراس بصرامة "إرم سلاحك.."

فقال أدهم بحدة "أضيئي المصباح في وجوههم بسرعة.."

لم تفهم بسمه المغزى من هذا العمل، لكنها نفذت أمره وبحركة بسيطة كانت تضیی المصباح وترفعه.. عندها فوجئت بالحراس الخمسة يتلوون المأ ويسارعون لنزع النظارات السوداء عن أعينهم.. وقفت بسمه بغير فهم فيما استغل أدهم الفرصة واندفع نحو الحراس مشهراً سلاحه.. وبضربة من مؤخرة السلاح كان قد أسقط حارسين ثم بركلة من قدمه أسقط آخر وأعقبها بلكمة من يده.. لكن قبل أن يستدير نحو الرابع كانت فوهة السلاح تلتصق بظهره والحارس يهتف به "كف عن المقاومة.. لن تستطيع التغلب علينا جميعاً.."

وقف الحارس الخامس مشهراً سلاحه في وجه أدهم، وقد تجاهلوا بسمه التي تجمدت في موقعها بخوف مما رآته.. عندما فوجئت بأدهم يهتف بها "اهربي.."

قفزت لصوته الأجلش الذي هز أعماقها، واستدارت تلقائياً لتنطلق هاربة.. لم تتوقف لحظة لتعرف كيف أو أين ستهرب.. ولم تسمح لذعرها من البقاء وحيدة بالتسلل لأعماقها..

في نفس اللحظة، هتف الحارس المواجه لأدهم وهو ينطلق خلف بسمه "توقفي.."

لكن أدهم كان قد مد ساقه الطويلة بقوة في ركلة لقدم الحارس جعلته يتعثر، في نفس اللحظة التي طوح فيها بسلاحه للخلف ليضرب سلاح الحارس الآخر الملتصق بظهره.. ثم ارتفعت قدمه لتضرب معدة الحارس بقوة شهق لها وهو ينثني، وأتبعها بضربة على مؤخرة رأسه أسقطته فاقد الوعي..

لم يكن ذلك آخر متاعبه والحارس الذي تعثر ينهض ملوحاً بسلاحه كما فعل الحراس الثلاثة الذين تلقوا الضربات من أدهم في البداية.. نظر أدهم لبسمه التي اختفت بين الأشجار، ثم غمغم لنفسه وهو يطوح سلاحه في وجه أقرب الحراس إليه "لا تتبعدي كثيراً يا فتاة.."

أما بسمه فقد أخذتها قدماها دون تفكير بين الأشجار وهي تحمل المصباح في يدها دون أن تتجراً على إضاءته هذه المرة.. تقطعت أنفاسها لطول ركضها، وتعثرت عدة مرات، لكنها لم تجرؤ على التوقف.. بعد فترة من الوقت، وقفت ونظرت خلفها حيث تركت أدهم.. لم تعرف الوجهة التي عليها سلكها، ولم تكن بقادرة على ترك أدهم والمضي وحيدة.. لا تعلم ما حاله مع الحراس، لكن ما يطمئنها أنها لم تسمع صوت أي طلقات رصاص..

نظرت حولها للحظات، ثم زفرت وهي بحيرة.. لم ترغب بالابتعاد كثيراً لئلا تضيع وحيدة أو تقابل أحد الحراس.. لكن لا يمكنها الوقوف هنا مع خطورة ذلك.. نظرت حولها بتمعن، ثم شدت عزمها واقتربت من إحدى الأشجار ذات الجذع الضخم، وشرعت بتسلقها رغم صعوبة ذلك عليها.. كادت تنزلق عدة مرات وتخدشت يدها وهي تحاول التشبث بالجذع، لكنها لم تستسلم حتى وصلت أقرب فرع منها.. فجلست فوقه وهي تراقب الموقع تحتها.. هل سيرونها لو مروا قربها؟ تمنى ألا يحدث ذلك وهي تنكمش على نفسها على الفرع المتين وتلبث صامتة مرهفة سمعها لأي صوت قد تسمعه..

مرت دقائق طويلة وهي تكاد ترتجف من البرد والقلق وهي تنصت.. هل نجا أدهم منهم؟ هل هو بخير؟ هل سيعرف الطريق الذي سلكته؟ لا تريد التفكير في حالها لو كان جواب تلك الأسئلة هو النفي.. بعد كل ذلك الانتظار، سمعت صوت خطوات راكضة مما جعلها تتوجس.. تلفتت حولها بحثاً عن أي من الحراس.. لكنها رأت أدهم يقترب من موقعها وهو يتلفت حوله بحثاً عنها.. فهتفت قبل أن يبتعد "أدهم.. أنا هنا.."

توقف أدهم مع صوتها وتلفت حوله، فقالت "في الأعلى.."

رفع أدهم بصره ليراها فوق الشجرة، فغمغم "ما الذي تفعلينه هناك؟"

قالت وهي تقف تأهباً للنزول "فضلت الاختباء بدل الركض بغير هدف.. هل أنت بخير؟"

هز رأسه إيجاباً وقال "كان التخلص من أولئك الخمسة عسيراً ولكنه لم يكن مستحيلاً.."

قاطعته شهقتها وهي تهتف بذعر "انتبه.."

لم يكد يستوعب قولها حتى وجد ضربة قوية قاسية تصيب مؤخرة رأسه ليسقط على إثرها أرضاً

يغالب الدوار، بينما هتف الحارس ببسمة "انزلي ولا داعي لأي مقاومة.."

وقفت بسمة مترددة وهي تنظر لأدهم بقلق، ثم بدون تفكير أضاعت مصباحها ووجهته للحارس الذي

كان كالآخرين يرتدي منظاراً للرؤية الليلية.. وكالآخرين فوجيء بالنور الساطع يعيش عينية فرمى

المنظار وهو يشتم متألماً، فاستغل أدهم الفرصة وهو يستعيد ثباته فطوح ساقه ليركل الحارس على

ركبته من الخلف.. فسقط الحارس على ظهره ليجد أدهم يطاء يده القابضة على السلاح ويسدد لفكه

لكمة قوية أتبعها بأخرى..

ترك أدهم الحارس فاقد الوعي دون أن ينسى الاستيلاء على سلاحه وهو يقول لبسمة "أسرعي.. يجب

أن نغادر.."

أطاعته وهي تنزل من الشجرة بشيء من البطء خشية الانزلاق، ولم تكد تستقر أرضاً حتى انطلق

أدهم وهي خلفه.. ثم سأله "لماذا لم تطلق رصاصة من السلاح الذي تملكه حتى الآن؟"

أجابها "صوت الرصاصة كان سيجذب المزيد من الحراس تجاهنا ونحن بغنى عن ذلك.. ثم إنهم لا

يستحقون ذلك.. فما هم إلا موظفين ينفذون الأوامر.."

تعجبت بسمة لقوله وإن جعلها هذا تحترمه أكثر.. لكنها لم تصرح له بذلك أبداً..

"أنت واثق أننا لا ندور في دوائر؟"

ألقيت هذا السؤال على أمجد وأنا أتلفت حولي، ثم أضفت "أكاد أقسم أنني رأيت هذه الشجرة من قبل.."

غمغم أمجد معلقاً "نحن محاطان بالأشجار.. كيف يمكنك تمييز شجرة عن أخرى؟"

قلت بتقطيب "هذا لا يجيب سؤالتي.. أتعرف الطريق الذي نسلكه أم أنك تخمن؟"

فوجئت به يجذبني لأنخفض وهو يكلم فمي.. ثم أبعد يده وهو يشير لي لأصمت.. درت بعيني فيما حولنا، عندها رأيت أحد الحراس يتقدم من بين الأشجار متلفتاً حوله ولم يبد عليه أنه رآنا حيث اختبأنا خلف أجمة شجيرات صغيرة.. ثم وقف الحارس في موقعه ليجري اتصالاً بالإدارة..

همست لأمجد بأخفض صوت "يجب أن نبتعد.."

أوقفني قبل أن أتحرك وهمس "لا.. إنه وحيد.. لتغلب عليه ونأخذ سلاحه.. وأريد الحصول على جهاز الاتصال ذاك.."

لم نكد ننهي حديثنا حتى رأينا حارسين آخرين ينضممان لرفيقيهما.. فهمست بتوتر "نهرب.. قد يكشفوننا.."

همس "إنهم يرتدون مناظير ليلية.. لو لم يتحطم مصباحي قبلاً لاستخدمته لإرباكهم والتغلب عليهم" تساءلت "وأين المصباح الآخر؟"

أجابني وهو يراقب الحراس "لدى أدهم.. لذلك أعتقد أن علينا أن نهرب ونتخلى عن هذه الفكرة الآن.."

تنهدت براحة وتحركت من موقعي، لكن أمجد قبض ذراعي من جديد وهمس "مهلاً.. أحدهما سيرحل.."

رأينا أحد الحراس ينفصل عن رفيقيه ويختفي بين الأشجار، بينما بقي الآخران وهما يتحدثان بصوت خفيض.. فهمس أمجد "اثنان أفضل من ثلاثة.. ولدي الفكرة المناسبة لذلك"

وهكذا، بعد دقائق، كان أمجد قد تركني وحيدة ليتجه للجانب الآخر من موقع الحراس، مع وعد بأن نتحرك نحن الإثنين في الوقت ذاته بعد أن نعد لخمسين، فنحن لا نملك ساعات لتتأكد من التوقيت.. من المفترض أن أستخدم مقلاع بدائي مشابه للذي صنعته سابقاً في جذب انتباه الحراس بعيداً عن أمجد الذي سينقض من الاتجاه المقابل، ثم أعاونه في تشتيت انتباههم حتى يتسنى له التغلب عليهم.. زفرت وأنا أمسك بالمقلاع الذي حشوته بحجر صغير وفي يدي حجرين آخرين تاهباً للحظة الحاسمة، وهمست وأنا مستمرة بالعد "خمسة وأربعون.. ست وأربعون.. سبع....."

شعرت بجسم بارد يلتصق بمؤخرة رأسي جعلني أبتلع ما بقي من الأرقام وحلقي يجف من المفاجأة.. ثم سمعت صوت أحد الحراس يقول بلغة نايو "ما الذي تنتوين فعله بهذا المقلاع الصبياني يا فتاة؟"

تجمدت من المفاجأة دون أن أتحرك.. فدفعت الحارس السلاح في رأسي بقوة أكبر وهو يقول بصرامة "قفني وتقدمي أمامي بصمت.."

نهضت ببطء وقلقي يتزايد.. حاولت التوصل لطريقة أنخلص بها من هذا الحارس قبل أن أقترب من الآخرين فيغدو الأمر أصعب علي، لكنني لم أجد طريقة مناسبة.. وشعرت به يدفع السلاح في ظهري، لكنني عزفت عن السير وأنا أقول "ماذا ستفعل بي؟"

دفع السلاح بقوة أكبر وهو يقول بحدة "تقدمي ولا داعي لهذا التباطؤ.."
تقدمت بشيء من التردد مجتازة الأجمة لأرى الحارسين الآخرين يلتفتان جهتي بتعجب والثالث خلفي يقول "انظرا علام وقعت.."

قال آخر "معنى هذا أن البقية قريبون من هنا"

شعرت بالقلق والثالث يقول "لا تنس أن بعض الرفاق يطاردون اثنين آخرين في الجهة الشمالية من الغابة.."

وجدت أن الحارسين أمامي قد أدارا ظهريهما للموقع الذي من المفترض أن يحتله أمجد، وبقي الثالث خلفي.. فتراجعت عدة خطوات وأنا أقول بتوسل "أرجوكم لا تعيدوني للعزل"
أسرع الثالث يقبض ذراعي وهو يقول بصرامة "إياك التفكير باستغافلنا.."
كان بتلك الحركة قد أدار ظهره هو أيضاً لموقع أمجد، فتظاهرت بالمقاومة وأنا أهمس من تحت أنفاسي "الآن يا أمجد"

وكأنه قد سمعني، إذ تقدم بسرعة وخفة مطوحاً سلاحه نحو رأس أول الحراس ثم أكمل ضربته نحو الحارس الآخر قبل أن يدرك أحدهم الأمر.. وجدت الثالث يستدير وهو يهتف "ظهرت أيها الوغد"
كان يرفع سلاحه نحو أمجد، فأسرعت أجذب السلاح بعيداً لتطيش الضربة وأنا أدفعه بكتفي وإن لم أتمكن من جعله يفلت السلاح، عندها عضضت يده بأقوى ما أستطيع مما جعله يطلق صرخة ويحاول إبعادي عنه.. ثم ضربني بكوعه على رأسي ليلقيني أرضاً.. وقبل أن يستدير كان أمجد يضربه بسلاحه بأقوى ما أستطيع..

نهضت من سقطتي وأنا أشتم بحنق.. يبدو أنهم ينوون تحطيم جمجمتي بكل هذه الضربات الموجهة لرأسي.. وسمعت أمجد يهتف بي لأهرب، فلم أكذب خبراً وأنا أبتعد عن الموقع بأسرع ما أستطيع وأمجد على إثري.. لكنه وجد أحد الحراس يهب نحوه ويلقي بجسده عليه ليتسبب في سقوطه، قبل أن ترتطم لكمة قوية بوجهه.. أما اللكمة الأخرى فقد صدها بسلاحه قبل أن يدفعه في فك الحارس ليبعده عنه..

توقفت عن الركض وعدت لأمجد، لكنه صرخ في "اهربي يا حمراء.. ابتعدي وسألق بك.."

لم يكن التخلي عنه بالعمل الذي أحبه، لكنني خشيت أن أزيد الأمر سوءاً ببقائي وعصيانني لأمره، فاستدرت بصمت وانطلقت هاربة بين الأشجار ولهاثي يتعالى جراء كل ذلك المجهود والتعب الذي حل بي.. لم تكد تحملني خطواتي وأنا أتجاوز الأشجار وأغيرّ طريقي بين فترة وأخرى.. وتفكيري منشغل بأولئك الثلاثة الذين تركتهم خلفي.. هل هم بخير؟ هل قبضوا عليهم؟ هل نجحوا بالفرار؟... وهل.. هل سألتقي بهم من جديد؟....
